قصر الاخيضر ورأى العلامة الآلوسي فيه .

L 'Okheïdhir , ou un château fort du limes mésopotamien.

١ ـ ماهو قصر الاخيضر

على بعد نيف وخمسين كيلومتراً من غربي كربلاء ، او على بعد ١٠٠ كيلومتر من غربي الفرات ، قصر فخم ضخم ، قائم احسن قيام على أسسه المتينة المكينة ، يسميه العراقيون : « الاخيضر » ، مصغر الاخضر ، وهو ذو طبقتين يبلغ طوله ٢٠٠ متر .

واول افرنجي زار هذا القصر زيارة تذكر هو الرحالة نيبهر(١) ، ثم زاره بعض سياح الانكليز الا انهم لم يكتبوا عنه شيئاً يستحق التنويه به ، وفي سنة ١٩٠٨ ، تعهده الشاب الذكي ، والمستشرق اللوذعي ، صديقنا لويس ماسنيون ، فكتب عنه في عدة مواطن من المجلات ، من جملتها في « نشرة مشارفه مجالس ندوة العلماء للرقم وعلوم الادب (٢) ، وفي « المذكرات التي ينشرها اعضاء دار العلوم الفرنسوية للآثار الشرقية المقامة في مصر القاهرة ، تحت ادارة المسيو أ . شاسينا ؛ ثم زارته ، بعد بضعة اشهر من تلك السنة ، الآنسة الانكليزية ج . ل . بل G. L. Bell ووصفته وصفا مدققاً في كتابها « مراد الى مراد » وبالانكليزية Amurath to Amurath ثم زاره الاديب الفرنسوي فيوله في شهر آب من سنة ١٩١٠ ، وكتب عنه مقالاً نفيساً قدمه الى الاديب ديولافوا .

---

(١) كارستنس نيبهر رحالة دنيركي ، ولد في لودنفورث ، من اعمال لاونبرغ ، سنة ١٧٣٣ وتوفي سنة ١٨١٥ ، وقد نبه ذكره برحلته الى ديار العرب ، وكان معه فورسكال وكراس وبوزنفيد وفان هافن . ودامت تلك الشقة ست سنين . وعند قفوله الى بلاده عين مدير ملدرف ، وكان من المشتركين الاجانب في دار العلم في فرنسة . وقد ابقى لنا تأليفين مهمين وهما : وصف بلاد العرب وقد طبع في كوبنهاغ سنة ١٧٧٢ ورحلة الى بلاد العرب وقد طبع سنة ١٧٧٤ — ٧٨ . وقد نقل الى الفرنسوية وطبع سنة ١٧٧٣ و ١٧٧٦ . وقد كتب ترجمة نيبهر ابنه جورج وهو من مشاهير المورخين .

(٢) Louis Massignon.- Le Château d 'al - Okhaider. - Extrait des comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions Belles - Lettres , 1909 . p 202 et Seq.

٢ عصر بناء القصر وبانيه

اختلف العلماء كل الاختلاف في اسم هذا القصر، وفي بانيه الاول، وفي القرن الذي بني فيه. فالمهندس الاثري الاديب ديولافوا Mr. Dieulafoy يذهب الى ان هذا القصر يرتقي الى الربع الاخير من القرن السادس للميلاد، اي قبيل العصر الاسلامي. والذي يحدوه الى هذا الرأي هو قوله: «ان الريازة (فن البناء) وفن تزويق الابنية كانا قد بلغا اوج الكمال، منذ عصر سامرآء، ومن ثم يتضح ان كل بناء عظيم لا ترى فيه الريازة الا في نشتها او في نشوئها، فهو على الارجح سابق للاسلام كقصر الاخيضر في العراق.»

اما الآنسة «بل» فانها لا ترى هذا الرأي، بل تذهب الى ان هذا القصر اقيم في الصدر الاول للاسلام.

ووافقها على هذا الفكر الاديب قيوله المذكور، وهو اليوم رأس مهندسي الولاية، قال: «لقد تحققت كل التحقق ان هذا القصر اسلامي كل الاسلام، وهذا مايظهر من الاساليب والذرائع المتخذة لتشييده. وقد زاد يقيني هذا كل الزيادة، لما نبشت في الارض نبشاً زهيداً بواسطة العمول، فللحال وقعت على محراب في وسط الحائط الجنوبي وهو حائط بهو عظيم، سمته الآنسة «بل» (وقد صدقت تسميتها) بالمسجد. ولو فرضنا اننا لم نعثر على هذا المحراب، فان استقراءات الاديب ديولافوا، لا تفضي الى نتيجة تؤيد ان قصر الاخيضر هو غير اسلامي، ولو انه تفرغ كل التفرغ لانعام النظر في البحث الذي انشأنه في هذا الصدد. لان الريازة وفن تزويق البناء عند المسلمين، لم يبلغا طور الكمال في سامرآء، بل كانا في حال التكون بامتزاج امشاج اطراز الابنية المختلفة التي تآصرت فيما بينها وتآخت. وهذا الامر من اثبت الامور، لان التشابك entrelacs لم يكن له بعد وجود عندهم. ولو فرضنا ان طرز البناء الاسلامي بلغ قراره في سامرآء، فهذا لايدل على مايبين لي، ان الاخيضر يسند الى العصر السابق الاسلام، لان تزاويقه البنائية هي في غاية النشوء، وهي فيه بعد كالجنين في رحم امه. نعم قد يحتمل ان غاشية الجص التي كانت تغشى دواخل الحيطان تزييناتها، قد سقطت عنها على تراخي استار الايام على هذا القصر

السيء البناء ، لكن قد يحتمل ايضا انها لم تكن ، لسبب ان هذا القصر قديمي، على مايظهر، بناء حشياً ليكون مصيفاً لصاحبه ، لان مواد بنائه رديئة (وهي احجار وحصى او جنادل مفرقة في ملاط) فيكون هذا البناء من الجنس المعروف باسم « حشو الاشكنج (١) Blocaille » ، ولا يحتمل ان يكون مقاماً مزيناً بتزاويق البناء ، كما هو الامر في قصور الخلفاء من قصور سامرا اوبغداد ». اه . كلام الاديب فيوله .

واما الاديب لويس ماسنيون، فانه لم يبت امراً في ما يتعلق ببانيه، وعهد بنائه، بل يميل الى القول بان هذا القصر ان لم يكن الخورنق او السدير، فلا يبعد من ان يكون القصر ذا الشرفات من سنداد، الذي يقول فيه الاسود بن يعفر :

ماذا اومل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد اياد
اهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

واما استاذنا، حضرة الشيخ العلامة السيد محمود شكري افندي الآلوسي، فانه يذهب الى ان هذا البناء شيد في صدر الاسلام ، في عهد عمر بن الخطاب في نحو سنة ٦٣٥ للمسيح، اي في السنة الثانية من خلافة عمر وقد بناه اكيدر الملك السكوني الكندي، فسمي باسمه، ثم صحفه العوام هذه الكلمة بان جعلوا الكاف (٢)، خاء والدال ضاداً (٣) كما هو معروف في لسانهم فقالوا فيه: « قصر الاخيضر» وانما هو « قصر الاكيدر » .

ومما يثبت هذا الراي ماذكره ياقوت في معجمه، قال في مادة دومة الجندل:

---

(١) الاشكنج عند اهل العراق صغار الاجر والحجارة او كسرها يتخذها البناؤون حشواً للبناء وما فيه من الفراغ ويتخذ ايضاً لرصف الطرق وقوارعها . والكلمة قديمة في العراق فارسية الاصل، وقد استعملها الجاحظ في كتاباته ومنها في كتاب البخلاء ص ١٢١ في قوله : « وما كان من اشكنج فهو مجموع البناء » اه ويسمي الشاميون الاشكنج بالدبش بفتح فسكون . (لغة العرب)

(٢) مثل اخبن من تربك واكبن (المزهر ١ : ٢٢٧) والكذب والحدب (اللغويون)

(٣) مثل تهض وتهد . وناهض وناهد . والدرس والضرس . (اللغويون)

« ان النبي (صلعم) صالح اكيدر على دومة، وامنه، وقرر عليه، وعلى اهله الجزية، وكان نصرانياً ، فاسلم اخوه حريث فاقره النبي (صلعم) على ما في يده، ونقض اكيدر الصلح بعد النبي (صلعم) فاجلاه عمر (رضه) من دومة، في من اجلى من مخالفي دين الاسلام الى الحيرة ، فنزل في موضع منها قرب عين التمر ، وبنى بمنازل وسماها : « دومة » . وقيل « دوماء » باسم حصنه بوادي القرى، فهو قائم يعرف ، الا انه خراب . » اه .

فقصر الاكيدر اذاً هو بناء نصراني بناه صاحبه على عجلة بعد ان اجلي عن حصنه بوادي القرى . وهو قريب من عين التمر وليس حصن هناك قريباً من هذه المدينة قرب قصر الاكيدر منها .

واما وجود المحراب في حائط الجنوب، فيعلل بان المسلمين الذين احتلوا القصر بعد صاحبه، اقاموا فيه محراباً، قياماً بشعائر الدين، كما هي عادتهم في قصورهم وحصونهم الكبيرة ولا سيما اذا بنيت بعيدة عن جامع او مسجد ، كما هو الامر في بادية مثل هذه البادية التي شيد فيها قصر الاخيضر او الاكيدر .

٣ سبب تسمية هذا القصر بالاخيضر

قدمر بك ان الاخيضر سمي كذلك من تصحيف العوام للفظة الاكيدر ليس الا . واما الذين لم يقفوا على هذه الحقيقة المقررة، فقد ذهبوا في هذه اللفظة ومناسبتها لهذا الحصن مذاهب شتى، منها :

١ : انما سمي كذلك، لان الاخيضر تصغير الاخضر، وقد اتته الخضرة من عين هناك يبض منها الماء بضاً ، فينبت حول القصر عشب، يحسن منظر القصر في عين الزائر، او نمو في فصل الامطار خضرة على حيطانه القديمة، فيظهر كأنه البس ثوباً من سندس او استبرق . — وقيل : لان ارض الحصن خصبة والخصب ينعت بالاخضر، لان الخضرة هي من اسباب الخصب . ومنه قول العرب : « هم خضر المناكب » اي في خصب عظيم . ومثله : هم خضر المرابع . ومنه قول الشيخ صفي الدين الحلي :

انا لقوم ابت اخلاقنا شرفاً ان نبتدي بالاذى من ليس يؤذينا
بيض صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا

— وقيل : انمسمى بالاخيضر لان هناك ذباباً يعرف بهذا الاسم وهو يكثر فيه فى ابان الربيع وهو بقدر الذباب الاسود المتوسط الكبير ، وقد يؤذى الدواب والناس .

٢ . ذهب بعضهم الى ان اصل هذه التسمية ، (تسمية الاخيضر) ، ترتقى الى سنة ٣١٠ . وذلك ان ابن سيرين ذكر فى تاريخه قال : وفيها (اى فى سنة ٣١٠ هـ — ٩٢٢م) انتقل اهل قران من اليمامة الى البصرة لحيف لحقهم من ابن الاخيضر فى مقاسماتهم وجدب ارضهم ، فلما انتهى امرهم الى اهل البصرة سعى ابو الحسن احمد بن الحسين بن المثنى فى مال جمعه لهم فقووا به على الشخوص الى البصرة ، فدخلوا على حال سيئة ، فامر لهم سبك امير البصرة ، بكسوة ونزلوا بالمسامعة محلة بها . ه اه .

وقال المسعودى فى كتابه التنبيه والاشراف ص ٣٨١ بخصوص الاخيضر ماهذا نصه :

... ثم مسيره (مسير ابى طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابى ، صاحب البحرين ، فى سنة ٣١٣ هـ — ٩٢٥ م) عن الكوفة الى الاحساء بالذرية والثقلة وتسليمه البلد الى اسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بالاخيضر ، صاحب اليمامة ، ابن ابرهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن على بن ابى طالب ومسير ابى القاسم يوسف بن ابى الساج عن واسط فى عساكره للقائه ، وكان السلطان اشخصه عما كان يليه من الاعمال من بلاد آذربيجان ، وارمينية ، واران ، والبيلقان ، وغيرها ، ليستعد من واسط ، وينفذ الى بلاد البحرين ، وكان مقيماً بواسط مستعداً ، الى ان جاءه الخبر بمسير صاحب البحرين الى الكوفة ، فخرج مبادراً له فسبقه ابو طاهر اليها ، ونزل الموضع المعروف بالخورنق وحازها ، ونزل ابن ابى الساج فى اليوم الثانى بالقرب منه ، فى الموضع المعروف بين النهرين ، مما يلى القرية المعروفة « بحرور آء » ، واليها اضيفت « الحرورية » ، من الخوارج ، وابو طاهر بينه وبين الكوفة ، فكانت الوقعة بينهم يوم السبت لتسع خلون من شوال سنة ٣١٥ هـ (اى فى ٩ ك ١ من سنة ٩٢٧م) . اه المقصود من ايراده .

وعليه فالمراد بالاخيضر ، الخورنق . وسمى الخورنق بالاخيضر لانه نزل

فيه فاضيف اليه منذ ذاك اليوم، وحمل اسم الخورنق الفارسي الاصل،الثقيل على لسان العربي .

٣ً . وقال المستشرق الاديب لويس ماسنيون : « وهناك رجم آخر وهو غير محتمل لما بين اللفظين من البعد (١) انه الاخيضر مأخوذ من «الاكيدر»، صاحب دومة الجندل الكندي الذي ارتد الى النصرانية (٢) بعد وفاة النبي، وكان لهذا الملك حصنان : الواحد في دومة الجندة (وهو في الواقع قريب من عين التمر)، والآخر في دومة الجندل ، وقد ذكره ياقوت (في ٢ : ٦٢٦) في قوله: «وفي داخل السور حصن منيع يقال له مارد وهو حصن» اكيدر» الا ان هذا الرأي هو رجم محض ، وموقع دومة الجندل على بعد اربع ليال من تيماء بين المدينة والشام ؟ يجعل هذا الرأي بعيد التمسك به لاسيما القول بانه قصر دومة الجندل .» اه كلامه .

قلنا : نعم ، ان القول بان حصن الاكيدر هو الذي كان له في دومة الجندل من وادي القرى بعيد الاحتمال ؛ لكن القول بانه الحصن الذي كان له في دومة الجندل قريب ، ولاقرب حبل الوريد . كيف لا وقد قال عنه ياقوت انه قرب عين التمر وهو قائم يعرف الا انه خراب». وهو كلام يصدق على الاخيضر الى يومنا هذا .

٤ً . ذهب بعض الادباء الى ان الاخيضر هو ترجمة لفظة السدير القديمة، لان هذه الكلمة تعني العشب وكذلك الاخيضر ، وربما كان هذان الحرفان متعاورين منذ البدء، ثم قتل الواحد الآخر لسهولة حفظه، وقرب معناه من الافهام، ولاشك ان معنى السدير للقصر النعماني المشهور هو بالفارسية ذو الليوت الثلاثة (سه دير) ؛ الا ان العرب تركوا المعنى الاجنبي، وتمسكوا بالمعنى العربي حباً

(١) قد صح بك ان تقارب هذين اللفظين غير بعيد في العربية ، والتصحيف ممكن، بل ظاهر، لان اعراب البادية لا يفهمون معنى الاكيدر، بخلاف الاخيضر فانه اوضح معنى لهم ، ولهذا محفوظ .

(٢) لم يتفق المؤرخون على اسلام الاكيدر فمنهم من انكره ومنهم من أثبته . وعلى كل حال، فان كان قد اسلم فقد ارتد بعد ذلك الى النصرانية .

بلغتهم،ومعانيها وكرهاً للاعاجم . ونحن نرى ان هـذا الرأى قطير ، بل فى منتهى القطر .

وهناك غير هذه الآراء وكلها فائلة، وقد اجتزأنا بماذكرنا،لشهرتها،ولعرضها على القراء الكرام .

٤ - موقع قصر الاكيدر الحربى والسياسى

قال صديقنا الفاضل لويس ماسنيون فى كتابه: « بعثة فى العراق » ص ٢ ماهذا تعريبه : « ان موقع الاخيضر من احسن المواقع،واجلها لبناء حصن هناك .

« وذلك لانه فى وسط نوع من الحلقة عظيمة القطر،يخطها الفرات خطاً بديعاً،على ابعاد متناسبة متساوية،او تكاد تكون كذلك، من هيت،والانبار، وبابل،والحيرة،فموقعه اذاً من اجل المواقع الحربية ، فهو يحافظ احسن المحافظة على صقع واقع على ثغر البادية ،وكان مسقياً احسن السقى،لان الاقدمين كانوا قد حفروا فى ارضه انهراً،تأتيها من الفرات، وتخرقها خرقاً كما يشق اليوم نهر الحسينية جوار كربلاء منذ القرن العاشر قريباً من رزازة . وهناك كان ايضاً بطائح تأتى مياهها من الفرات وتدفع فيها وفى البادية بعد ان تسقى الاراضى المزروعة،ولهذا كان يطوف بها الادغال والآجام الكثيرة الطير والصيد (وهذه ايضاً احدوثة مايروى عن الخورنق وكان ملتقى الصيادين وموعدهم).

« والى اليوم ترى آثار الزراعة وبقايا عقيق النهر القديم الجامع بين هيت والابلة،وهى ظاهرة كل الظهور بين كربلاء والاخيضر .

وماعدا ذلك كان يمكن لاصحاب ذلك القصر اوالحصن المنيع ان يقبضوا على الذعار وقطاع الطرق الذين يأتون من ديار نجد اومن انحاء بلاد الشام،قبل ان يتوغلوا فى الارضين المزروعة اوالعامرة ويعيثوا فيها . » اه كلام صديقنا .

٥ - موقعه السياسى الحالى .

«والاخيضر هو منتهى قيم مقامية رزازة،الراجع امرها الى فهد بك، من العزة ؛ وآخر حدود مديرية شفاثا (التى يسميها البعض شثاثة والبعض الاخر من الترك اومن المتتركين شفاتيه والاصح ما اوردناه كماوردت فى ياقوت فى مادة

عين التمر ٣ : ٧٥٩) . ويزعم فهد بك ان هذا القصر له . ومدير شفا انما قد استخص عين الماء المجاورة له، وهي العين الوحيدة الموجودة في تلك الانحاء والتي يخلو ماؤها من مادة كبريتية . (عن المذكور ص ٢)

نقد كتاب تاريخ آداب اللغة العربية

لجرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال . (تلو)

Observations critiques sur l' Histoire de la Littérature arabe de M. Georges Zeidân

٣ - اوهامه في الآراء

في تأليف جرجي افندي زيدان، من المزايا الخاصة به، مالا تكاد تراه في غيرها . ومن جملة هذه المحاسن انه يجيء لك موضوع الفصل التالي للفصل الذي تطالعه، حتى انك لتقول في نفسك : « هذا لابد منه » . وعلى هذا الوجه تتصل الفصول وتأخذ بعضها برقاب بعض حتى تقضي العجب من هذا التداخل العجيب والالتحام البديع . وكثيراً ما اتفق لي اني بدأت بتصفح كتاب من كتبه، فلم اقدر ان القيه من يدي الى ان انيت على اخره . كأن الكتاب اصبح شيئاً من ضرائر حياتي في ذلك النهار ولم يمكني ان استغني عنه .

ومهما يكن من اعجابي بالمؤلف، وشغفي بمطالعة اسفاره، فاني ارى فيها بعض الامور التي كنت اود ان تكون منزهة عنها . ومن جملة هذه الشوائب انتقاله من وهم الى حقيقة، ومن حقيقة الى وهم، بعد ادماج عبارة يوهم هذا الانتقال اتم الايهام ، مثال ذلك : انه قال في الصفحة الاولى من مقدمته (وهي ص ٣ من الكتاب) ما هذا نصه بحرفه :

« اما العرب فالمشهور انهم لم يؤلفوا في تاريخ آداب لسانهم . والحقيقة انهم اسبق الامم الى التأليف في هذا الموضوع مثل سبقهم في غيره من المواضيع (كذا) . » ثم اراد ان يؤيد هذا الراي بدليل تاريخي نقلي صريح، فقال : « فان في تراجم الرجال كثيراً من هذا التاريخ لانهم يشفعون الترجمة بما خلفه المترجم من الكتب ويبينون مواضيعها وقد يصفونها ... » اه .